نهضة المسلمين بعد الحملة الصليبية الأولى باسترجاع الرها سنة (540هـ /1144م)

أ. أزرار ليلة

جامعة المدية/ الجزائر

The Revival of the Muslims After the First Crusade After Regaining Al-Raha (1144 A.D.- 540 H.)

Prof. Azrar Leela
University of Al-Media/ Algeria

Abstract

The crusade society in Al-Sham in general and in the Kingdom of Jerusalem in particular consisted of different rates which differ in their traditions and rites. Most of the western Europeans got back to Europe after the crusade and the ones who remained formed an aristocratic elite that govern the eastern Europeans.

لما أسس المسيحيون في بيت المقدس مملكة كاثوليكية، أنشئت في بلاد الشام في عام 1099 م بعد الحملة الصليبية الأولى، وشكلّت أكبر ممالك الصليبيين في الشرق وقاعدة عملياتهم، واستمرت في الوجود زهاء قرن من الزمن. فمع بدايتها، كانت المملكة عبارة عن مجموعة من البلدات والقرى التي فتحت خلال الحملة الصليبية الأولى، ثم توسع حجمها وبلغت ذروة نموها عهد بلدوين الأول ولو لم يدركه الموت لحاول توسيع حدود المملكة نحو مصر التي كانت حينذاك تحت قيادة الخلافة الفاطمية. كما كانت المملكة في حالة تحالف مع الممالك الصليبية الأخرى في المشرق أي إمارة الروها وإمارة أنطاكية وإمارة طرابلس وذلك بحكم الموقع. وسُكنَت المملكة، وتأثرت عاداتها ومؤسساتها، بالوافدين من أوروبا الغربية، وكان هناك على الدوام اتصالات وثيقة، من الناحية العائلية والسياسية مع الغرب طوال عُمر المملكة عهد الملك بلدوين؛ غير أنها وكمملكة صغيرة نسبيًا غالبًا ما افتقرت إلى الدعم المالي والعسكري المتواصل من أوروبا، وسعت المملكة في رأب ذلك لإقامة علاقات مع الممالك الشرقية المسيحية كالإمبراطورية البيزنطية وأرمينيا. وإلى جانب العادات والمؤسسات الغربيّة فقد تأثرت المملكة اجتماعيًا بالعادات والتقاليد الشرقية؛ سكان المملكة إلى جانب الوافدين الفرنجة كانوا بشكل أساسي من المسلمين والأرثوذكس الشرقيين واليهود.

فبعد وفاة بلدوين الأول تولى الحكم بلدوين الثاني، "بلدوين دي ليبورج"(BOUDOIN DE LE BOIRG) من (1118م –1131م) وفي أواخر عهده بدأت فترة ضعف مملكة بيت المقدس اللاتينية.

إذ تكون المجتمع الصليبي في بلاد الشام عامة ومملكة بيت المقدس خاصة من فئات مختلفة وغير منسجمة ويعود ذلك إلى تلك المجتمعات التي لم تكن على وفاق سواء في عاداتها أو تقاليدها أو اتجاهاتها ناهيك عن اختلاف الجنسيات الأوروبية وتعدد المذاهب بين الفرنجة النازلين بالشرق والقادمين من الغرب.[1]وكان الفرنجة الغربيون قلة بعد عودة الكثير منهم إلى أوروبا بالرغم من مشاركة هؤلاء مع الشرقيين أحيانا في عاداتهم وتقاليدهم إلا أنهم بقوا طبقة قليلة شكلت من نفسها طبقة أرستقراطية حاكمة.[2]

بالإضافة إلى فئة المحاربين المتألفة من عامة الناس الصليبيين الغربيين والذين تزوجوا من الصليبيات الشرقيات والتي نتج عنها طبقة الأفراج.[3] و طبقة المسيحيين المحليين، أغلبيتها من الأرمن الموازنة لسريان الأقباط والبيزنطيين الذين عانوا من كراهية واحتقار الصليبين الغربيين لهم فاستخدموهم في أعمال دنيئة، لخوف هؤلاء من تآمرهم مع الإمبراطورية البيزنطية ضد مصالحهم جراء الخلافات المذهبية.[4] كما كان في المملكة الناشئة كثير من أسباب الضعف الأخرى، كوجود فرقة فرسان المعبد أو الهيكل، وسليمان، الرب، والمسيح، والداوية، ثم الماسونية فيما بعد، كُلُّها أسماء لمنظمةٍ واحدة، نشأت في عام (1195م)؛ حيثُ نذر"هيدوهبايان" (Hugh de Payans)وثمانيةٌ آخرون من فرسان أنفسَهم للرهبنة، وخدمة المسيحيين العسكرية، [5] وكما نجد فئة المسلمين الذين هاجر منهم الكثير بعد الاستيلاء الصليبي وكجلب البديل عمد الصليبون للسياسة التعميرية.[6]

إضافة إلى تمرد فئة التجار الإيطاليين المستقلين، والذين تمتعوا بامتيازات المدن التجارية الإيطالية في النواحي القضائية إذ لا يطيع تجار هذه المدن إلا قوانين حكومة مدنهم[7]. كما نجد فئة البدو والرحل العرب غالبا ما يتعرضون للقوافل الصليبية، وهناك فئة الرقيق والأفنان، المتواجدة في المملكة التي لا يمكن للصليبيين الاستغناء عنها من جراء الخدمات المتنوعة التي كانت تؤديها.[8]

إذن تلك هي أهم الفئات التي تكون منها ذلك المجتمع غير المتجانس وكان هذا التباين سببا في إضعاف القوى الصليبية مما قلل من المقاومة ضد القوى المجاورة لهم من المسلمين من خلال الفشل والانهيار الذي شاهدته المملكة، وقد نتج عن ذلك آفات اجتماعية عديدة منها: الرشوة التي عرفت انتشارا كبيرا في المجتمع الصليبي.[9] كما انتشرت المفاسد والمساوئ الأخلاقية كانتشار الدعارة في صفوف الصليبيين.[10]كما كانت هنالك سفن صليبية تأتي من الغرب الأوربي بالعاهرات للترفيه عن الجنود، وحتى رجال الكنيسة كان من بينهم من يستعمل أماكن العبادة للدعارة من أجل ربح المال، وقد قاومت البابوية ذلك بشدة.[11]

إذ أقر أحد المؤرخين أن سبب الانحراف الذي أصاب المجتمع الصليبي يعود إلى الحرب الأهلية المستمرة وحياة الغربة لغيابهم الطويل عن الوطن الأم.[12]

بالإضافة إلى أن حياة البارونات جمعت ما اشتهرت به الفروسية الغربية من الإسراف والبذخ، وهو الأمر الذي انجر عنه الفساد والانحلال الخلقي.[13]

لقد حكم "فولك لأنجوي" من (1131-1143م) وعند اعتلائه للعرش اندهش لما آلت إليه حالة المملكة من الفوضى التي مست مختلف النواحي، [14] فرغم أنه تم تسوية خلافة " بلدوين الثاني" بالاعتراف الرسمي بابنته الكبرى "ميلسندا"(Mélisande) وزوجها "فولك الأنجوي" ملكا في(1131/09/14م)إلا أن هذا الأخير لقي صعوبة في تسيير المملكة بسبب كثرة معارضيه.[15]

فبينما كانت تلك الأوضاع المشحونة تسود بيت القادة الصليبيين كانت الجبهة الإسلامية تشتد وتقوى حول الصليبيين.[16]

كما أن الوضع وصل أشده بعد موت "بوهمند الثاني"(1130م) هذا عندما ألت إمارته التي حسب ذلك القانون الفرنجي الذي يقضي حق الأميرة في تولية العرش بعد وفاة والدها تحت وصاية أرملته هذا ما عرف بتجربة حداثة السن.[17] فقد تزعمت أرملته "أليس" (Ellice) حزبا يؤيدها لتحصل على عرش المملكة عمدت إلى التحالف مع أمراء الإمارات الأخرى ضد الملك "فولك الأنجوي".[18] كما سعت بشتى الوسائل لتزويج ابنتها الأميرة " كونستانس"(Constance) من ابن الإمبراطور البيزنطي "مانويل كومنين" Manuel (Comnéne) لكسب تأييد الإمبراطور وعند ما كشف الملك خطتها أرغمها للتنازل عن أنطاكيا كليا.[19]

كما راسلت "عماد الدين الزنكي" صاحب حلب والموصل من جهة، ومن جهة ثانية عمل أمير "طرابلس وأمير الرها بإشعال ثورة داخلية في أنطاكيا لتفويض سلطتهم هناك في الوقت الذي كانت فيه العناصر الإسلامية تهددهم من كل جهة.[20]

كما أن في سنة (1131م) وقع خلاف كبير بين الإمبراطور البيزنطي"يوحنا الثاني"(Johanas II) والذي حكم (1118م-1143م) و"رايموند دي بواتيه" (Raymond De Poitier) حول مصير شيزر بعدما رفض هذا الأخير أي اتفاق مع الإمبراطور. هذا ما أدى إلى تدهور العلاقة بينهما، فعمل الإمبراطور لأخذها بالقوة ولم يقف " رايموند دي بواتية " ساكتا بل لجأ بدوره لإحداث فوضى دينية داخلية في أنطاكيا بين "الأرثوذكس" و"الكاثوليك" [21]

لقد كان غياب الوفاق والوحدة بين معظم القادة الصليبيين وتغلب الأطماع الذاتية على الصالح العام عاملا هداما لكيانها، ذلك أن تلك الخلافات والمنازعات زادت حدتها أكثر في هذه الفترة [22] كما أن غياب المقومات الحقيقية والحكومات الشرعية للدولة والتوتر الذي أصاب الإمارات الأخرى خاصة ما شاهدناه بين أنطاكيا ومملكة بيت المقدس كان عاملا آخر ساهم في ضعف المملكة وقد كانت تلك العوامل تنتشر في المجتمع الصليبي منذ البداية رغم الدعوة المستمرة للوحدة.[23]

وبموجب قانون وراثة العرش في مملكة بيت المقدس، ينتقل الحكم إلى أكبر الإناث في حال عدم وجود ذكور، شرط أن تكون متزوجة وتحكم مناصفة مع زوجها. حكمت "ميليسندا" مناصفة مع زوجها فولك . كما ذكرنا سالفا. حتى وفاته عام (1143م) ثم استمرت كملكة وصية على عرش ابنها "بلدوين الثالث" حتى عام (1153م).[24]

تولى "بلدوين الثالث" الحكم بين (1143–1162م)، أي بعد وفاة والده فولك بعد بلوغه سن الرشد، في عهده وصلت الحملة الصليبية الثانية إلى القدس وانضمت إليها جيوش مملكة بيت المقدس بقيادة الملك "بلدوين الثالث"وهاجمت دمشق وهزمت. وكان على خلاف دائم مع أمه الملكة "ميليسند". [25]

وبعد وفاة الملك "بلدوين الثالث" سنة (1162م) خلفه في المدينة المقدسة أخوه الوحيد "عموري"(Amouri) والمعروف "أمالريك" أصبح الملك اللاتيني الخامس عام (1163م).[26]حكم إحدى عشر عاما وخمسة أشهر، كان "أمالريك الأول" خصماً شديداً لحرية الكنائس، وكان جشعاً بشكل لا يليق بملك، وقد شغل منصب كونت يافا، كما منحه أخوه" بلدوين الثالث" عسقلان وتزوج من ابنة كونت الروها "جوسلين الثاني "ثم طلقها، بسبب معارضة بطريرك القدس لوجود قرابة بين الملك وزوجته من الدرجة الرابعة تحرم زواجهما. خلّف من زوجته الأولى ابنة اسماها "سيبيلا"، وولدا هو" بلدوين الرابع" المجذوم."[27]

ومن أهم أعماله تمثل في التحالف البيزنطي في الحملة على دمياط حيث اتفق الملك "مالريك الأول" والإمبراطور البيزنطي "مانويل كومنيين" (1143م–1180م) بالهجوم على مصر واقتسامها مناصفة وبناءً عليه توجهت القوات البيزنطية بقيادة "أندرو نيبوس" (Andros Niopos) نحو دمياط للاستيلاء عليها والزحف منها نحو القاهرة لكن دمياط نجحت في رد الهجوم بفضل ما بذله صلاح الدين من جهود للدفاع عنها.[*]انسحب الأسطول البيزنطي وعاد إلى بلاده وفي الطريق تعرض لعاصفة ففقد عدداً كبيراً من السفن، وبعد ذلك انسحب "أمالريك الأول" بعد حصار دام شهرين ثم ذهب إلى القسطنطينية وجدد الاتفاقية مع" مانويل كومنيين" من أجل شن حملة جديدة على مصر، لكن الأيام لم تسعفه للقيام بذلك.[28]

توفي سنة (1173م) فخلفه ابنه المريض"بلدوين الرابع"سنة (569هـ/1173م) وكان طفلا مريض بالجذام والبرص وسمي بالمجذوم فتولى الوصاية عليه "رايموند III" أمير طرابلس وقد ألف بين الحكام الصليبيين.[29] وكان لـ"بلدوين الرابع" أخت جميلة هي "سبيلا" (Sibyllin) وهي الابنة الكبرى لـ"أمالريك الأول"، كانت قد تزوجت "وليم" (willim) مونتراك أو (همفري الرابع) الذي توفي سنة(571هـ/1175م) بعد أن أنجب منه بلدوين الخامس(1185م_1186م) توفي وهو طفلا. ثم تزوجت للمرة الثانية من فارس فرنسي هو "غي دي لوزينيان "(Gui Di Louisiane) سنة (576هـ/1180م)، وقد أصبح هذا المغامر وصيا على مملكة بيت المقدس بحكم زواجه على "سبيلا" و بعد وفاة "بلدوين الخامس" أصبح "لوزينيان ملكا سنة(582هـ/1186م).[30]

ويعتبر هذا التتويج انتماءا للوعد الذي قطعه "لوزينيان" على نفسه لـ"ريموند" صاحب طرابلس في حالة وفاة "بلدوين الخامس" دون أن يترك وريثا لا يقرر ولا يحكم إلا البابا والإمبراطورية وملكا انجلترا وفرنسا. وقد ترتب عن هذا أن ازداد الانقسام في الجبهة الصليبية، بحيث أصبح هناك جبهتان، جبهة تضم "سبيلا" وزوجها "لوزينيان" ومن معها من الصليبيين، وهؤلاء يرون أن المبادرة تكون لحرب صلاح الدين والمسلمين،[31] أما الجبهة الثانية التي تضم "رايموند الثالث" ومن معه يفضلون السياسية السلمية نظرا لإحساسهم بالضعف الذي أصابهم جميعا والانقسام الذي أصبح ظاهرا في مجتمعهم لدرجة آن "رايموند الثالث" ومن معه يفضلون السياسية السلمية نظر لإحساسهم بالضعف الذي أصابهم جميعا والانقسام الذي أصبح ظاهرا في مجتمعهم لدرجة أن"رايموند" راسل "صلاح الدين الأيوبي" وطلب منه المساعدة على بلوغ غرضه من الفرنجة، ووافقه جموع من الصليبيين فاختلفت كلمتهم وتفرق شملهم –أي الصليبيين– ومكث "رايموند" في طبرية وظهر بمظهر المتمرد على مملكة بيت المقدس، ويبدو أن لجوء "رايموند الثالث" إلى "صلاح الدين" كان بسبب غضبه الشديد لاعتلاء "لوزينيان "مملكة بيت المقدس بعد زواجه من "سبيلا"، ولكن "رايموند"أحق منه بذلك الملك، ضف إلى ذلك مطالبته بتقديم له كشف حساب عما أنفقه حينما كان وصيا على الطفل "بلدوين الخامس" ابن "سبيلا".[32] وهذا ما اعتبره "رايموند" إهانة لشخصه.

ومما سبق نخرج بسببين رئيسيين كان نقطة تحول في مصير"مملكة بيت المقدس" الصليبية وهما:

الأول: تعمد زواج الوريثات لمملكة بيت المقدس وانتقال الملك إلى الأزواج الذين لا صلة لهم بالمملكة وما ترتب على ذلك من تداخل وتمازج في حقوق الوراثة كما أن زواج "سبيلا" من "غي دي لوزينيان"هو الذي قرر مصير المحتوم للملكة الصليبية.

أما السبب الثاني: فيتمثل في نظام الانتخابات في الإمارات الصليبية وما نتج عنه من أحقاد وزيادة المنازعات بين الأسر الحاكمة.[33]

أما الأوضاع في الجبهة الإسلامية المقابلة فرغم تلك الإخفاقات الإسلامية المتتالية ضد الصليبيين إلا أنهم استطاعوا في الأخير التنبؤ بضرورة الوحدة الإسلامية وقد رفع لواء هذه الوحدة عماد الدين الزنكي الذي ولد سنة (477هـ/1055م) وكان أبوه من كبار القادة في عهد السلطان"ملك شاه" حتى لقب بقسيم الدولة. وكان الابن الوحيد لهذا القائد العظيم في الدولة السلجوقية، وقد تولى والده "آق سنقر" حلب سنة (479هـ/ 1057م)،[34] فكانت حلب مهد طفولته، ودربه والده على فنون الفروسية منذ نعومة أظافره وعوده على تحمل الصبر والمشاق في الحرب وممارستها، وكان يبدي شجاعة فائقة في مواجهة الصليبيين، كما ورث عن أبيه القوة التي تعرف بالعطف والتي لا تبقى على العدو خطر، وورث عنه التخطيط مثل الانسحاب في الحرب عندما لا يرى أحدا حوله، كما ورث التخطيط الذي يؤدي إلى حتف الخصم الذي يرسمه له الزنكي.[35]

فقد تزوج من ستة نساء، وأبناءه فهم "سيف الدين الغازي" وهو أكبر و"نور الدين محمود"، و"قطب الدين مودود" و"نصرة الدين" أميرأفيران.[36] وجميع أولاده ظهرت عليهم النجابة وكانوا ذوي أخلاق حميدة وشجاعة فائقة وخاصة "نور الدين محمود" و"سيف الدينغازي". وقد نظم الجيش بحيث كانت مؤسسة الجيش هي القوة الضاربة للقضاء على الفوضى في الإمارات المحلية لكي يوحدها في جبهة إسلامية متماسكة لكي يستطيع محاربة الصليبيين.[37]

وقد رفع لواء هذه الوحدة في الموصل وحلب، فكان العمل الوحدوي والتحرري وسيلتهم الوحيدة لطرد الاستيطان الصليبي. و لقد برز هذا البطل في الوقت الذي عرف الوجود الصليبي اضطرابا جراء ما ذكرناه. ففي الوقت الذي كان على الصليبيين أن يكونوا على الوفاق وتحاشي المنازعات لاستكمال الغزو، كانوا غارقين في فوضى سياسية، [38] فاستغل المسلمون ذلك لصالحهم، ويظهر ذلك جليا في بروز رجال رفضوا تلك السلطة والهيمنة الصليبية.

ففي سنة(517هـ/1123م) اتفق "طغطتين" حاكم دمشق مع الوزير "الأفضل" الفاطمي على عمل مشترك ضد الصليبيين، فهاجم الأول طبرية و أنزل الفاطميون أسطولا لمهاجمة يافا.[39]

وفي (522هـ/1128م) عقد السلطان "محمود" إمارة الموصل وحلب لـ"عماد الدين الزنكي ابن آق سنقر"، فاستطاع بفضل مكانته أن يجمع حوله عددا من المسلمين العرب و التركمان والدروز لإنقاذ المملكة من الصليبيين.[40]

كما عرف كيف يكسب الود من الأمراء والاطمئنان من العامة، فقد كان يتحاشى التدخل في الصراعات بين القادة المسلمين ويقف موقف حيادي لكي لا يعرض نفسه لمناوشات ليست في صالحه، فمثلا عندما تعرض الإخوان "مسعود السلجوقي" وأخوه "محمود السلجوقي" لنزاع حول العرش عز عليه أن تقوم فتنة بينهما ولم يلجأ لاستغلال الوضع لصالحه بل سعى بكل الوسائل ليبعدهما عن ذلك، وراح يبحث عن وسيلة تنفع معهما للوفاق والتفاهم.[41] وهذا ما عمد إليه أيضا مع الخليفة "المسترشد" والسلطان السلجوقي "محمود".[42]

وفي إطار الخطط الهادفة لتوحيد القوى الإسلامية لأجل استرجاع المدن الإسلامية بادر بأعمال رمزية كان لها أثرها الإيجابي في اشتداد قواهم أولها زواجه من " خاتون " بنت ملك "رضوان بن تتش" صاحب حلب أرمله "إيلغازي" لتقوية مركزه الداخلي.[43] وثانيها عمله المتواصل لكسب حق امتلاك الشام بأسرها وشمال العراق وفق وثيقة رسمية من السلطان السلجوقي "محمود" تثبت ملكيته، وهذا ما يؤكد أنه مؤسس الدولة مدعومة للدوام ليست أفاق عابرة.[44]

ومن خلال تلك الأعمال الوحدوية للجهاد ضد الصليبيين فقد تهافت عليه جموع من المسلمين للمساندة، وكذا القادة المسلمون مثلما تقدم أمير حمص "قريش بن جبرخان" والسلطان "بن منقد" صاحب شيرز لذلك أعلن ولائهما واستعدادهما لمساندة عماد الدين الزنكي.[45]

كما لعب العلماء المسلمون دورا كبيرا في هذه الصحوة الإسلامية هؤلاء الذين رفضوا الرضوخ للوضع منذ البداية فكثيرا ما حاولوا تنبيه الأمراء المسلمين لذلك الخطر الصليبي مدنسين بالوضع داعيين الخلفاء المسلمين والقادة لتناسي الخلافات والمضي قدما في الجهاد ضد عدو واحد وهو الصليبيون، وفعلا لم يمض الكثير حتى قامت قوة إسلامية موحدة.(46)

لقد تظافرت عدة عوامل ساهمت في اليقظة العربية منها ما وصل إليه الصليبيون من انهيار وضعف سياسي وتراجع عسكري، بتأزم الوضع الداخلي للمملكة وفشل الحملة الصليبية الثانية وذلك بسبب تراخي الأمراء الصليبيين في مساندة الإمبراطور "يوحنا"،(47) إذ كان العبء الأكبر وليس كله على كامل القوات البيزنطية التي قادت الحملة إذ تم نقل حملة بيزنطية خلال ذلك التحالف بين الإمبراطور و"رايموند " محالف بيزنطيا " صليبيا، كما أن يوحنا سعى كثيرا لضم أنطاكيا لأملاك بيزنطة فكان ذلك على حساب فقدانه لأراضي أخرى للإمبراطور.(48)

فبعد ما تنبأ المسلمون للوضع سارع السلطان السلجوقي "مسعود" في غياب الإمبراطور لانشغاله بأمر "عماد الدين" وأمراء الصليبيين، فقام بالهجوم على مدينة أدنة وهذا ما أزعج الإمبراطور البيزنطي الذي خاف كثيرا في تشكيل الخطر على باقي مدنه.(49)

كما كان الانقسام الذي أصاب الإمارات الصليبية والتنازع فيما بينها خاصة ما وقع بين أميرا أنطاكيا" بوهمند III" ومملكة بيت المقدس، خوفا من أن يعتلي أحد القادة منصب احد ما على الآخر، (50) كما حدث مع " جوسلين" صاحب الروها الذي أصبح أكبر قوة من قوة "رايموند" ونتائجها على إمارته، فعمد للإيقاع بين الإمبراطور البيزنطي "يوحنا" و"ريموند" وهذا ما دفع بالإمبراطور للتخلي عن شيزر الأنطاكية مطالبا بأنطاكية وقلعتها.(51)

و كثيرا ما تخلى القادة الصليبيون عن واجباتهم العسكرية وعن مساندتهم للإمبراطور وخوفهم من القوات الإسلامية لما لعبه "عماد الدين" من دور في إرهاب الإمبراطور وإيقاع الخلاف بنيه وبين القادة الصليبيين، أرسل مثلا للملك "بوهمند III" أن فرنجة الشام خائفون منه فلو فارق مكانه لتخلوا عنه فرحل ملك الروم عنهم فأخذ معه آلات الحصار والمؤن وسار الاتابكة يتتبع خطوات العسكر فظهر الكثير ممن تخلف منهم فأخذوا جميع ما تركوه.(52)

في ربيع (530هـ/ 1135م) بدأ "عماد الدين الزنكي" هجماته على الحصون الصليبية شرقي نهر العاص وليتمكن من غزو معرة النعمان و كفرطاب كما لجأ بعد فروغه من ذلك إلى مهاجمة مدن " شيزر " و"حمص" و "وقيسرية".(53)

في (530هـ/1135م) استطاع "سيف الدين" نائب "عماد الدين زنكي" غزو أراضي أنطاكية حتى بلغت غزواته مائة قرية وصولا للاذقية، بالإضافة لحصوله على مؤن كثيرة، (54) كما هاجم الدمشقيين بقيادة "بزواش" وعقد صلحا معهم ثم عاد إلى حلب.(55) وأغار على إمارة طرابلس، كما اشتبكت قواته بالصليبيين الذين كانوا تحت قيادة "بونز"(Pons) أمير طرابلس في (531هـ/1137م) عند قلعة سنجيل واستطاع المسلمون الاستيلاء على كثير من الغنائم.(56) وفي نفس السنة من شهر جويلية التحق "عماد الدين زنكي" مع جيشه ضد القوات الصليبية وعاود الهجوم على حمص إلا أنهم فشلوا اثر المقاومة الشرسة التي أبداها "معين الدين"من جهة، وظهور تحالف صليبي بين "فولك الأنجوي" ملك "بيت المقدس" و"رايموند الثاني" أمير طرابلس.(57) فاضطر "عماد الدين زنكي" إلى عقد هدنة مع الدمشقيين للتفرغ لصليبيين، (58) الذين احتشدوا في حصن بارين أو بعرين المنيع، التي كانت حصينة بالجيش الصليبي ففرض عليها حصارا شديدا حتى أكل الصليبيون جراده الدوالي، (59) وفي مواجهتهم العسكرية هزم الصليبيين بحيث استطاع عماد الدين حبسهم لكي لا تصلهم أي أخبار أو مساندات ليرغم الملك "فولك الأنجوي" على الاستسلام ودفعه الفدية الحربية والتي تقدر بخمسين ألف دينار والتسليم بالقلعة والمدينة وبالفعل تم ذلك، ولم يسمع "فولك" بوصول تلك المساعدات ولما سمع كان متأخرا حيث لا ينفع الندم.(60)

هكذا استطاع "عماد الدين الاستيلاء" عليها وغرس الأمانة في أواسط شعبها الذين سروا كثيرا بسياسته العادلة، (61) فلما حدث الامتلاك حذر من أهلها من طالب بأملاكهم، فطلب منهم كتابا فقالوا: " إن الفرنجة أخذوا ما لنا والكتب" فقال:"أطلبوا دفاتر حلب وكل من عليه خراج على ملك يسلم إليه ففعلوا فرد لكل الناس أملاكه تلك أحسن الأفعال وأعدلها.(62)

بعد نكبة بارين راح الإمبراطور "يوحنا" يبحث عن تحالف مع "رايموندIII" و "جوسليين أمير الروها لصد الهجمات الإسلامية، فاتجهت قوى الصليب للأتارب منها البزاغة التي استاء أهلها كثيرا لقدوم الصليبيين فعمدوا لإحراق خزائنهم وتخريب مدنهم ولما سمع الأمير "سيف الدولة" حاكم حلب برحيلهم أسرع لتخليص أسراها وهذا ما رفع من معنويات المسلمين، [63] كما عبر عن ذلك "ابن القلانسي" بقوله: "سرأهل حلب بهذه التوبة سرورا عظيما".[64]

وفي (533هـ/1138م) وصل الإمبراطور البيزنطي "يوحنا الثاني" بقواته إلى شيزرأين استنجد أهلها بـ"عماد الدين" الذي استطاع شن هجوم ضدهم انتهى بفوز عسكري حتى عجز الصليبيون عن المقاومة.[65]

وفي (537هـ/1143م) توفي الملك "فولك الأنجوي" فخلفه ابنه "بلدوين الثالث"، كما آلت الروها لـ"جوسلين الثاني" الذي لم يهتم سوى في السعي وراء شهواته على حساب إهمال أمر الدفاع عن الروها.[66] وما زاد الوضع سواء الحالة التي آلت إليها تلك الإمارات بعد موت الإمبراطور البيزنطي "يوحنا الثاني".[67]

أمام تلك الهزائم العسكرية التي لحقت بالصليبيين والاضطرابات السياسية فقد عرف "عماد الدين الزنكي" كيف يستغل الظروف، فقد كانت الروها هدفا لـ"عماد الدين" لكن ذلك كان صعبا كثيرا فالصليبيون كانوا متمسكين بها ولم يبدوا أي استعداد لفقدانها رغم كل شيء، لذا فقد عمد "عماد الدين" لتنفيذ خططه بعدما سمع برحيل "جوسلين الثاني" أميرها عنها، عبر الفرات غربا، [68] فزحف إليها ومعه أكثرية قواته دون أن يتخلف عنه أحدا.[69] وعند وصولهم فرضوا على قلعة الروها حصارا، فتسارع "جوسلين الثاني" يستنجد بـ"رايموند الثاني" صاحب أنطاكيا والملكة "ميلزاند "صاحبة بيت المقدس.[70] فرغم مقاومة الصليبيين إلا أن الجيش الإسلامي بقيادة "عماد الدين" تمكنوا من الروها في (6ربيع الآخر540هـ/15 سبتمبر1144م).[71]و لقد عامل أهلها وسكان الأرمن خاصة معاملة الحسنى والاحترام، [72]إذ أمر برد كل ما سلب من أهلها وإعادة لهم ما غنموه في الروها، بذلك عادت المدينة لحالتها الأولى، فجعل "عماد الدين" فيها عسكرا يحفظها، [73] كما واصل سيره إلى أن ملك سروج وسائر الأماكن التي كانت بيد الفرنجة شرق الفرات إلا البيرة، التي استعصت عليه في البداية نظرا لحصانتها لكنه تمكن في الأخير من الاستيلاء عليها.[74]

وهكذا وقعت أقدام الإمارات الصليبية في يد المسلمين وكان ذلك ما شجع المسلمين للمضي لإعادة باقي الإمارات والأراضي الإسلامية، ولقد أذهل هذا الانتصار القادة الصليبيين وأخافهم من الامتداد قدما للأمام فسارع "رايموند دي بواتييه" أمير أنطاكيا طالبا المساعدة من الإمبراطور "مانويل الأول كومينوس" كما تسارعت وفود كثيرة تنشر الحديث في أوربا طالبة مساعدات عسكرية.[75]

هكذا استطاع عماد الدين الزنكي استرجاع الروها وكان من الممكن استرجاع غيرها من الإمارات لولا أن الموت عجل به، فبينما كان يعمل على حصار قلعة جعير[*] في إحدى الليالي من سنة (541هـ/ 1145م) أغار عليه أحد الفرسان بتوصيات من الفرنجة فقتله في غفلة في خيمته.[76]

وهذا ما نجده أيضا في عهد "نور الدين محمود"، إذ عرف التاريخ بطلا آخر كان له دورهام في الأعمال الجليلة التي كوفئت في الأخير باسترجاع بيت المقدس سنة(583 هـ/1187م) المدعو صلاح الدين الأيوبي.[77] فعندما قتل "عماد الدين زنكي" سنة(541هـ/1147م) كان ابنه الأكبر "سيف الدين الغازي" مقيما بشهرزور وهي إقطاع من قبل أبيه، بينما كان نور الدين عند قلعة جعبر، [78] بعد أن شهد مصرع أبيه، أخذ خاتمه من يده وسار ببعض العساكر إلى حلب فملكها، وهي فو توابعها في (ربيع الآخر سنة 541 هـ/1146 م)، [79] ولما كان عمره "30 سنة" كان معه في قلعة جعبر "الملك أرسلان"ابن السلطان "محمود السلجوقي.[80]وقد ذكر المؤرخون أن السلطان "آلب أرسلان" حاول أن يحل محل "عماد الزنكي" في ملك البلاد، وأن يبعد أولاده عنها، فجمع الجنود وأعد العدة للتوجه إلى الموصل بقصد الاستيلاء عليها، [81] ولكن الوزير "جمال الدين الأصفهاني" قام بدور كبير في الحفاظ على الدولة الزنكية.[82]

اذ بعد موت "عماد الدين" زنكي "انقسمت الدولة الزنكية بين "سيف الدين غازي" الذي حكم الموصل والجزيرة الفراتية، و"نور الدين محمود" الذي حكم حلب وما جاورها من مدن الشام.[83] وكان نهر الخابور هو الحد الفاصل بين أملاك الأخوين. وأدى الوضع الجغرافي الشرقي إلى أن يرث "غازي" المشاكل الداخلية مع الخلافة العباسية والسلطة السلجوقية.[84]

إذن حكم الأول القسم الشرقي والثاني القسم الغربي متخذا من مدينة حلب قاعدة لحكمه، وقد ورث "نور الدين محمود" مشكلتين كبيرتين متمثلتين في أتابكة دمشق والإمارات الصليبية المنتشرة في بلاد الشام، [85] والتي صرف "عماد الدين الزنكي" معظم أيامه في معالجتها وهما قضية دمشق، والتي كان يحكمها البرهويين المتعاونون مع الصليبيين والإمارات اللاتينية المختلفة. وكانت العلاقة بين الأخوين متينة بحكم القرابة وبحكم تحقيق هدف واحد ألا وهو الجهاد ضد الصليبيين في بلاد الشام.[86] وكانت حلب تشكل بالنسبة للموصل خط الدفاع الأول وصمام الأمان ضد أي خطر تتعرض له، لذلك نشأت علاقات جيدة بين سيف الدين غازي الأول صاحب الموصل وأخيه نور الدين محمود صاحب حلب.[87]

عرف نور الدين محمود بحميته الدينية المتأججة التي استطاع أن يبنيها بين المسلمين، وصمم إلى جانب هذه الحمية على إعادة هذه الوحدة الروحية للإسلام وذلك بتأسيس المدارس الدينية وأعلن أن النصر مرهون بوحدة المسلمين، و هذا معناه عزل الأمراء المتقاعسين عن الجهاد أو المتعاونين مع الصليبيين[88] وكانت أتابكة دمشق تقف أمام محاولاته لتحقيق الوحدة الإسلامية ونجد بعد عدة محاولات في ضم دمشق في عام(549هـ/ 1541م) محققا بذلك وحدة المسلمين في بلاد الشام حيث زعامته وشكل ذلك أمرا بالغ الخطورة على أوضاع الصليبيين في بيت المقدس بشكل خاص.[89]ثم التفت إلى تصفية الإمارات الصليبية الثانية التي قدمت إلى الشرق نتيجة سقوط إمارة الروها، ففتح عدة مدن في بلاد الشام وحاصر الصليبيين داخل المنطقة الجبلية الواقعة إلى الغرب من الأردن ونهر العاصي، [90] ودخل "نور الدين محمود" في صراع دامي مع إمارة بيت المقدس حول مصر التي كانت تتخبط في هذه الأثناء بالفوضى والاضطرابات بفعل النزاع على منصب الوزير في ظل ضعف الحكام الفاطميين.[91] وهدف إلى تحقيق غايتين هما سياسية واقتصادية، وذلك أنه بضم مصر إلى بلاد الشام مما سيتيح له حصار بيت المقدس من الشمال والجنوب، وفي المقابل فإنه وقوع بيت المقدس في يد ملك صليبي "أمالريك الأول" من شأنه أن يحاصر بلاد الشام من الجنوب والشمال، مما يشكل تهديدا خطيرا لحركة الوحدة الإسلامية، [92] بالإضافة إلى الفائدة الاقتصادية فإنه لم يغيب عنه التفكير في تجارة مصر الضخمة وميناء الإسكندرية الكبير وحركة التجار بين الشرق والغرب.[93]

ويبدوا أن العلاقات بين الأخوين تعرضت لأزمة عابرة عقب وفاة والدهما بدليل أن "سيف الدين الغازي" الأول أرسل إلى أخيه نور الدين محمود يدعوه للحضور إليه إلا أن صاحب حلب تأخر في تلبية الدعوة معللا تصرفه في انهماكه في محاربة الصليبيين.[94] ولقد كانت هناك مجموعة من الأسباب ساهمت في فتر هذه العلاقة بين الأخوين، رأى "سيف الدين غازي الأول" أنه كان يجب على أخيه الوقوف إلى جانبه عندما تعرض الحكم الزنكي في الموصل إلى اضطرابات سياسية، أثارها الملك "ألب أرسلان " السلجوقي، فغضب "سيف الدين غازي" من هذا التصرف.[95]هذا ما دفع بـ"سيف الدين الأول" إلى الإلحاح على أخيه "نور الدين" الاجتماع به وتسوية الأمور، وقد تصرف صاحب الموصل بحكمة لإزالة أسباب التوتر، [96] ولم يعارض على استيلائه للروها التي كانت تدخل في منطقة نفوذه، كما أرسل قوة عسكرية لمساندته إلا أنها وصلت بعد أن نجح نور الدين محمود في استعادتها.[97]

وقد استطاع الأخوان أن يحلا المشاكل التي بينهما فتعاونا على البر والتقوى، ويكمن هذا التعاون في اشتراك عساكر الموصل جنبا إلى جنب مع عساكر الشام في الجهاد ضد الصليبيين، وذلك في الدفاع عن دمشق ضد الصليبيين الذين حاصرت قواتهم المدينة في الحملة الصليبية الثانية عام (543 هـ/ 1148م)، [98] ونجاحهم في حمل الصليبيين عن الرحيل عن دمشق، وكذلك فتح حصن العُريمة، وطرد الصليبيين منه، وهزيمة الصليبيين في إنب و فتح أفاميه سنة (544 هـ/ 1149م)، بعد حكمهم للموصل ثلاث سنين.[99]

وكان " نور الدين محمود " يتحلى بشعور المسؤولية وحرص على تحرير البلاد من يد الصليبيين وكان يسرع لسد أي قمع أو اعتداء من قبل الأعداء، إذ يقول ابن الأثير: كان "جوسلين الفرنجي" في ولايته غربي الفرات: تل باشر وما جاورها، فراسل أهلها الروها وكان عامتهم من الأرمن، وواعدهم يوما يصل إليهم فيه فأجابوه إلى ذلك، [100] فسار في عساكره إليها وملكها وامتنعت عليه القلعة بمن فيها من المسلمين، وقاتلهم وجد في قتالهم فبلغ الخبر إلى نور الدين فسار مجدا إليها في العسكر الذي عنده، فلما سمع "جوسلين" بوصوله خرج عن الروها إلى بلده، ودخل "نور الدين" المدينة ونهبها وسبى أهلها، وأجلى من كان بها من الفرنجة.[101]

ومن انجازات "نور الدين محمود" ما يلي:

-إلحاق هزائم منكرة بجيوش الفرنجة في معارك عديدة وكثيرة وعلمهم عدة دروس، وحرر الكثير من المدن والحصون والمواقع الإسلامية منهم.

-تحقيق الوحدة السياسية لبلاد الشام وشمال العراق(الدولة العباسية)ومصر وشبه جزيرة العرب.[*]

-توفير الأمن والاستقرار إذ هيأ الظروف المناسبة لتحقيق المنجزات الإدارية التي قامت على أساسها نهضة الأمة.[102] إذ أحسن اختيار الأكفاء من الرجال مثل "أسد الدين شبريكوك" -عم "صلاح الدين الأيوبي"- و"مجد الدين ابن الداية وإخوته"، "العماد الأصفهاني"، "خالد بن محمد القيسراني"، "محمد العيمادي"، "الشيخ الأمير مخلص الدين" وغيرهم.[**]

كما قام بعدة أعمال جليلة أخرى كان من شأنها أن توحد المسلمين تحت راية الإسلام وعلى يد أحد أعظم رجاله "صلاح الدين الأيوبي" الذي أكمل مشاريع "نور الدين محمود آل زنكي " الى أن وصل إلى تحرير بيت المقدس[103].

ولكن الوضع تغير بسبب إقدام و"نجم الدين أيوب" على مساعدة "عماد الدين زنكي" -قائد جيوش الموصل وهذا عند مهاجمته لبغداد (526هـ/1132م)، وقد ضمد "أيوب" جراح "عماد الدين زنكي"، [104] وهذا ما أغضب "بهروز" (لأنه ساعد عدوه)، كما قتل "أسد الدين شيريكوك" -عم صلاح الدين – أحد رجاله، فتحيل الفرص حتى طرده من تكريت في (532هـ/1138م).[105]

وتشاء الصدف أن تكون ليلة رحيل الأسرة عن تكريت، هي الليلة التي ولد فيها ابن "يوسف " وهو "يوسف بن أيوب بن شادي" -من بلدة دوين من أذربيجان- في (532هـ/1137م) [106].[*]

ويذكر ابن الأثير: أن "نجم الدين أيوب" لم يجد من يستقبله أحسن من "عماد الدين الزنكي"، فاتجه إليه بالموصل، وذكر أيضا أنه أحسن بالفعل إليهم، حيث جعل "أيوب" على بعلبك بعد فتحها (535هـ/1139م) وقد كان أخاه "أسد الدين شيريكوك" قائدا لجيشه، [107] فلحق بـ"عماد الدين الزنكي فأعطاهما إقطاعات جليلة، ثم جعل "أيوب" مستخلفا لقلعة بعلبك بعد فتحها.[108]

وهكذا أمضى "صلاح الدين" صباه في بعلبك حتى بلغ سبع سنوات أي إلى (541هـ/1146م)، في هذا العام قتل "عماد الدين الزنكي" من طرف صاحب دمشق "فخر الدين طغتكين والذي قام بمحاصرة بعلبك، وتم الاتفاق بينه وبين "أيوب" على التنازل على بعلبك مقابل الحصول على إقطاعات.[109]

وبعد وفاة "معين الدين أتر"(حاكم دمشق) سنة (544هـ/1149م) خلفه "نجم الدين أيوب"، وذلك أن "أيوب" المتواجد في دمشق عرض مساعدته على "نور الدين محمود" في الحصول على دمشق سنة(549هـ/1154م) حيث راسل "شيريكوك" واقترح عليه فتح دمشق، فلبى الطلب وتم فتح دمشق، وأصبح بذلك أعظم أمراء دولته.[110]

أما عن "صلاح الدين أيوب" فقد واظب والده على تعليمه في كل علوم عصره، فحفظ القرآن الكريم ودروس الفقه والحديث واللغة العربية والبلاغة والشعر، [111] وقيل أنه جالس عند كبره مشايخ أهل العلم، وقد جمع له الشيخ "قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمود بن مسعود النيسابوري" عقيدة فيها ما يحتاج اليه.[112]

إذن هكذا مهد "عماد الدين زنكي" ثم من بعده ابنه "نور الدين محمود" لآل "أيوب" الدخول في خدمة المناصب العليا للدولة الزنكية ومن بعدها يأتي قيام الدولة الأيوبية التي تعمل على توحيد الخلافتين الفاطمية والعباسية ثم بذلك تمهيد الطريق لتحرير الساحل الشامي ثم بيت المقدس على يد "صلاح الدين الأيوبي"

هوامش المقال:

1)- عبد القادر أحمد اليوسف، **العلاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر و الخامس عشر**، بيروت، د.ت، ص.84
2)- محمود السيد، **تاريخ الحروب الصليبية**، الإسكندرية، 2000م، ص.122
3)- Grousset.R..**Histoire des croisades**.vol، ;pp.315-316.
4)-سعيد عبد الفتاح عاشور، **تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في عصور العصور الوسطى**، دار النهضة العربية، بيروت، 1972م، ص.331
5)- نبيلة إبراهيم مقامي، **فرق الرهبان والفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر**، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، 1994م، ص15-16.
*)- وكان في المملكة الناشئة كثير من أسباب الضعف، ولكنها كانت تتلقى معونة فذة من نظام من الرهبان الحربين. ذلك أن تجار أملفي Amalfi كانوا قد حصلوا من المسلمين منذ عام 1048 على إذن ببناء مستشفى في بيت المقدس لإيواء الفقراء أو المرضى من الحجاج. ثم نظم ريمند دوبي Raymond du Puy موظفي هذا المعهد تنظيماً جديداً فجعلهم هيئة دينية تكرس حياتها للعفة، والفقر، والطاعة، وحماية المسيحيين في فلسطين بالدفاع عنهم دفاعاً عسكرياً؛ ومن ثم أصبح هؤلاء الفرسان فرسان مستشفى القديس يوحنا من أنبل الهيئات الخيرية في العالم المسيحي. وحدث حوالي ذلك الوقت نفسه (1119) أن نذر هيدوه بايان Hugh de Payans وثمانية آخرون من فرسان الصليبيين أنفسهم للرهبنة، وخدمة المسيحيين العسكرية، وأن حصلوا من بلدوين الثاني على مسكن لهم بالقرب من الموضع الذي كان فيه هيكل سليمان، وسرعان ما أطلق عليهم اسم فرسان المعبد. أنظر: نبيلة إبراهيم مقامي، المرجع السابق، ص16-21. كما يوجد فرسان الاستبارية، وفرق دينية أخرى شاركت بشكل أو بآخر بإسقاط المملكة والبعض الأخر دافع عنها. أنظر: Thompson J.W.**:Economic and Social History of theMiddle Ages: (300-1300)**.édition ; Century Company, 1928.p386.
6)-عبد القادر أحمد اليوسف، **المرجع السابق**، ص84.
7)-نفسه، ص84-.85
8)-سعيد عاشور، **الحركة الصليبية**، ج1، د.ط.القاهرة، 1982م، ص506-.507
9)- حسن عبد الوهاب:**مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية**، الاسكندرية، 1997م، ص93 وص.154
10)- محمود مؤنس عوفي، **العلاقات بين الشرق و الغرب، الحروب الصليبية (6-7هـ/12-13م)**، القاهرة، 1999م، ص.133
11)-العماد الدين الأصفهاني، **الفتح القسي في الفتح القدسي (حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس)**، الطبعة الأولى، دار المنار، 2004م، ص.180
12)-أسامة بن منقذ، **كتاب الاعتبار**، دار الكتب العلمية، لبنان، 1999م، ص.135
13)- أرنست باركر، **الحروب الصليبية**، ت:السيد الباز العريني، ط2، د.ت، ص68-.69
14)-اتش –إ-ماير، **تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة محمد فتحي الشاعر، الطبعة الأولى**، القاهرة، 1990م، ص.123
15)-أمين معلوف، **الحروب الصليبية كما رآها العرب**، ط1، ت: عفيف دمشقية، بيروت، 1998م، ص.167
16)-أرنست باركر، المرجع السابق، ص..70
17)-حسين مؤنس، المرجع السابق، ص179-.180
18)-إتش-إ-ماير، المرجع السابق، ص218..
19)-عبد القادر أحمد اليوسف، المرجع السابق، ص.84
20)-اتش –إ- ماير، المرجع السابق، ص217-.219
21)- عبد القادر أحمد اليوسف، المرجع السابق، ص.99
22)-فيشر، **تاريخ اروبا في العصور الوسطى**، ترجمة:مصطفى زياد والسيد الباز العريني، القاهرة، مصر، 1950م، ص.183
23)- نفسه، ص183-.185
24)-أسامة بن منقذ، **كتاب الاعتبار**، دار الكتب العلمية |، لبنان، 1999م، ص.182
25)- محمد سهيل طقوس، **تاريخ الحروب الصليبية (حروب الفرنجة في المشرق)**، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت، 2011م، ص:314.وعن الحملة الصليبية الثانية أنظر أيضا هذا الكتاب.
26)-أرنست باركر، المرجع السابق، ص.80
27)-نفسه.
28)- يوشع براور، **الاستيطان الصليبي في القدس: مملكة بيت المقدس اللاتينية**، ت: عبد الحافظ البنا، دار عين، الزقازيق 2001، ص.29-.30
29)- إدوارد غيبون، **مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي**، ، نقله إلى العربية: سيد أمير علي القاهرة، مصر، 1938م، ص.279
30)- ابن الأثير، ***الكامل في التاريخ***، الجزء11، بيروت دار مازدا للطباعة، بيروت، 1998م، ص.527
31)-نفسه.
32)-أرنست باركر، المرجع السابق، ص81-82

33)-ابن الأثير، المصدر السابق، ج11، ص.527
34)-أبو شامة شهاب الدين المقدسي، **الروضتين في أخبار الدولتين: النوريه و الصلاحية**، الجزء الأول، الهيئة المصرية، القاهرة، 1962م، ص.74
35)-نفسه
36)- شاكر أحمد أبو زيد، **الحروب الصليبية والأسرة الزنكية**، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، د.ت، ص.58
37)-نفسه، ص.59
38)- أما عن نسائه فكانت الأولى أرملة الأمير "كندغدي"، أما الثانية فكانت "ختون"ابنة الملك "رضوان" والثالثة كانت صاحبة خلاط ابنة "سقمان القطبي"، والرابعة كانت ابنة "تمرتاش"، والخامسة ك"خاتون " بنت جناح الدولة "حسين"، أما السادسة فهي "صفة الملك "ابنة الأمير "جاولي" وأخت الملك "دقاق " لأمه.أنظر:-ابن الأثير (عز الدين)، **التاريخ الباهر في دولة الأتابكة**، تحقيق:عبد القادر طليمات، طبعة القاهرة، 1963م، ، ص.24
39) –ابن العديم، المصدر السابق، ص244؛ أبو شامة شهاب الدين المقدسي، المصدر السابق، ج1، حسن حبشي، **نور الدين والصليبيون**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1948م، ص24 وص172. ص80؛ شاكر أحمد أبو زيد، المرجع السابق، ص59-.60
40)- د/علي محمد الصلابي، **الدولة الزنكية**، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، 1428هـ72007م، ص34-35..
41)- عماد الدين الأصفهاني، **تاريخ آل سلجوق**، مطبعة الموسوعات، القاهرة، مصر، (1318هـ/1900م)، ص.186
42)-كلود كاهن، **الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية**، ت:أحمد الشيخ، القاهرة، 1995م، ص.210
43)-عبد الحميد زايد، **القدس الخالدة**، الطبعة مصر، د.ت، ص218-.219
44)-أحمد شلبي، **حركة فارسية مدمرة ضد الإسلام و المسلمين عبر العصور**، القاهرة، 1988م، ص.452
45)- زكي النقاش، **العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية**، منشورات دار الكتاب اللبناني، 11365هـ/1946م، ص.338
46)- عماد الدين خليل، **نور الدين زنكي الرجل والتجربة**، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، 1400هـ/1980م، ص24-39
47)- حسن حبشي **الحروب الصليبية الأولى**، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1958م، ص.24
48)-أمين معلوف، **الحروب الصليبية** كما رآها العرب، الطبعة الأولى، القاهرة، 1378هـ/1958م، ص.165
49)- محمود السيد، **الحروب الصليبية**، طبعة الإسكندرية، 2000م، ص.152
50)-ابن القلانسي (حمزة بن محمد التميمي)، **ذيل تاريخ دمشق**، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ص1908م، ص.262
51)-أحمد شلبي، المرجع السابق، ص452-453.
52)-كلود كاهن، **الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية**، ترجمة:أحمد الشيخ، القاهرة، 1995م، ص.210
53)-محمود سعيد عمران، **الحملة الصليبية الخامسة**، الاسكندرية، 1985م ص.23
54)-محمود سعيد عمران، **تاريخ الحروب الصليبية 1095-1291م**، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996م، ص.62
55)-محمد عثمان شبير، **بيت المقدس وما حوله من خصائصه العامة وأحكامه الفقهية**، ط1، 1407هـ/1987م، ص19.
(56)- محمود سعيد عمران، **الحملة الصليبية الخامسة**، ص23-.24
57)-ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج11، ص.58
58)-محمود السيد، المرجع السابق، ص.152
59)- عماد الدين خليل، المرجع السابق، .121
60)- محمد سهيل طقوس، **تاريخ الحروب الصليبية (حروب الفرنجة في المشرق)**، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت، 1419هـ/1999م، ص.118
61)-أسامة بن منقذ، المصدر السابق، ص97-.98
62)- محمد سهيل طقوس، نفس المرجع، ص118-.119
63)-ابن القلانسي، المصدر السابق، ص.262
64)-ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج11، ص.58
65)-ابن الأثير، **المصدر السابق**، ج11، ص.52
66)-نفس المصدر، ج11، ص52-.53
67)- عماد الدين خليل، المرجع السابق، ص124-.125
68)-محمود سعيد عمران، **تاريخ الحروب الصليبية1095-1291م**، ص61-.62
69)-ابن القلانسي، المصدر السابق، ص.276
70)- محمود سعيد عمران، **تاريخ الحروب الصليبية1095-1291م**، ص.66
71)- عماد الدين خليل، المرجع السابق، ص146
72)- علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص.134
73)-زكي النقاش، المرجع السابق، ص.39
74)-ابن الأثير، المصدر السابق، ج11، ص.99

75)- محمود سعيد عمران، **الحملة الصليبية الخامسة**، ص605-.606
76)-ابن القلانسي، المصدر السابق، ص279-.280
77)- عماد الدين خليل، المرجع السابق، ص152-.153
78)-ابن القلانسي، المصدر السابق، ص.280
79)-ابن الأثير، المصدر السابق، ج11، ص.99
80)-عبد القادر أحمد اليوسف، المرجع السابق، ص.110
81)-ابن القلانسي، المصدر السابق، ص.284
82)-بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، الجزء الأول، ترجمة:نبيه فارس و منير البعلبكي، بيروت، 1948- 1950م، ص.219
83)- ابن القلانسي، المصدر السابق، ص.285
84)-قلعة تقع على الفرات بين بالس والرقة قرب صغين، -أنظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، الجزء الأول، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م، ص.142
85)-ابن العديم، المصدر السابق، ص.285
86)-االبن الأثير:**التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية**، ص71-.72
87)-ابراهيم بن محمد حمد المزيني، **الحياة العلمية في عهد الزنكي**، الطبعة الأولى، الرياض، 1424هـ/2003م، ص42
88)-النويري شهاب الدين، **نهاية الأدب في فنون الأدب**، تحقيق:سعيد عاشور، طبعة القاهرة، 1980م، ص43
89)- علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص170-.174
90)- إبراهيم بن محمد حمد المزيني، المرجع السابق، ص.44
91)- محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، 168-.169
92)- علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص.172
93)-ابن الأثير **الباهر في التاريخ**، ص86-.87
94)- عماد الدين خليل، **نور الدين محمود الرجل والتجربة**، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، 1400هـ/1980م، ص.13
95)-ابن الأثير، **الباهر في التاريخ**، ص107-.108
96)- ابن الأثير، **الباهر في التاريخ**، ، ص107.
97)- 98 Stevenson.W.G.**The crusades in the east**, Cambridge ,1999. pp185-186.)- محمد الدين طقوس، المرجع السابق، ص.170
99)- ابن الأثير **الباهر في التاريخ**، ص.108
100)- نفسه، ص.87
101)-ابن واصل، المصدر السابق، ص116.
)-عن أهم رجال "نور الدين محمود في دولته أنظر- سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان في وفيات الأعيان، طبعة حيدر آباد الدكن، الهند، 1951م، ص280 وص324-325.د/عماد الدين خليل، المرجع السابق، ص55وص170، -حسن حبشي، **نور الين محمود**، ص58-59.
102)- عبد القادر أحمد أبو الصيني، نفس المرجع، ص176. 103)-محمود شلبي، **"حياة صلاح الدين**، الطبعة الأولى، دار الجبل، بيروت، 1980م، ص.35
104)-فيليب حتي، **صانعوا التاريخ العربي**، الطبعة الأولى، تر: أنيس فريحة، ومراجعة:محمود زايد، دار الثقافة، بيروت، ص.163
105)-عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، م5، ص332-333.
*)-عن مولد "صلاح الدين الأيوبي" بالتفصيل وعن رحيل أسرته أنظر المصدر لشهاب الدين المقدسي.
106)-ابن الأثير، المصدر السابق، م11، ص.335
107)-زين الدين عمر ابن الوردي أجمد رفعت البداراوي، **تتمة المختصر في أخبار البشر**، الجزء الثاني، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ، ص116-.117
108)- عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العربو العجم والبربرومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، الجزء الخامس، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، 2008، ص332-.333
109)-ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج11، ص335-.336
110)- Lane-Pool ,**Saladin and the fall the ringe don of Jérusalem Ravats**, Beirut , 1964 ,p6.
111)-عبلة المهتدي الزبدة، المرجع السابق، ص77..
112)-المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، الجزء الأو، تعليق:محمد مصطفى زيادة، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1934-1942م، ص43.